موسيقى "البَنْڤا" الطّقوسيّة بواحات البلاد التّونسيّة: إمكانات ثقافيّة في خدمة التّنمية السّياحيّة

Ritual "Banga" music in the oases of Tunisia: Cultural potential at the service of tourism development

علي شمس الدين

جامعة قابس، الجمهوريّة التّونسيّة، ali.chamseddine@isamgb.u-gabes.tn

تاريخ الاستلام: 2023/03/05 تاريخ القبول: 27/ 03/ 2023 تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص: تتميّز واحات البلاد التّونسيّة بثراء تراثها، بصعيديه الماديّ واللاماديّ، من تقاليد ومنتجات وخصائص اجتماعيّة يُمكن استثمارها لخلق تنمية مُستدامة عبر تثمينه في خدمة المجال السّياحيّ ونسعى في هذه الورقات إلى تحديد المفاهيم الحافّة بالسّياحة وأهدافها ودورها في دفع التّنمية المستدامة، لننتقل إلى التّعريف بفرق موسيقى "البَنْڤا" وخصائصها وآلاتها وطقوسها. لنعمل أخيرا على الرّبط بين مميّزات هذا الموروث اللاّمادي وسبل استثماره في مجال السّياحة لتحقيق تنمية مُستدامة. وقد اعتمدنا في بحثنا على الدّراسات المُهتمّة بالسّياسات الثّقافيّة والتّنمية السّياحيّة، وعلى عملنا الميداني حول موسيقى "البَنْڤا" بواحات توزر والحوض المنجمي. وقد توصّلنا من خلال هذا البحث إلى تقديم تصوّر يمكّننا من استغلال نشاط اجتماعي– ثقافي لبناء منوال سياحي تنموي مُستدام.

كلمات مفتاحية: الموسيقى الطّقوسيّة، التّنمية المستدامة، أسلوب "البَنْڤا"، السّياحة التّشاركيّة.

Abstract: The Tunisian oases are distinguished by the richness of their heritage, both tangible and intangible, in terms of traditions, products and social characteristics that can be invested to create sustainable development by valuing it in the service of the tourism fieldIn these papers, we seek to introduce the concepts of tourism, its objectives, and its role in advancing sustainable development. Then we focused on introducing the "Banga" bands, their characteristics, instruments, and rituals. Finally, we had linked the characteristics of this intangible heritage and ways to invest it in the

tourism fields to achieve sustainable development. In our research, we relied on studies concerning with cultural policies and tourism development, and on our field work on "Banga" music in the oases of Tozeur and the mining basin Through this research, we have come up with a vision that enables us to exploit a socio-cultural activity to build a sustainable development tourism model

Keywords: Ritual music, sustainable development, **"**Banga" style, participative tourism

. مقدمة:

" تُظهر روح اتفاقية التراث الثقافي غير المادي بوضوح إيمان اليونسكو بوجوب اعتبار الثقافة عاملاً أساسيًا لتمكين الاستدامة، ومصدرًا للمعنى وللطاقة، وربيعا للإبداع والابتكار، وموردا لمواجهة التحديات وإيجاد الحلول المناسبة" [1 2]

يتوجّه العالم المعاصر إلى تغيير المنوال السّياحي التّقليدي بالبحث عن مناطق جذب سياحيّة، ونلمح هذا التوجّه في تزايد عدد السيّاح المقبلين على شرق آسيا والباسيفيك والشرق الأوسط وإفريقيا بالمقارنة مع تناقص عددهم في المناطق الأوروبيّة وأمريكا.[3]

وبسبب هيمنة التّكنولوجيات الحديثة وطرائق التّواصل الرّقميّة، تبحث فئة كبيرة من طالبي الخدمات السّياحيّة عن توجّه يخلق ذكريات تُلامس الواقع، وذلك بمعايشة مغامرات وخوض تجارب حياتيّة خارج الأطر المألوفة لدى السّائح. وفيم يهمّ بحثنا فقد اهتممنا بإحدى التّوجهات السّياحيّة التي تُعرفُ بـ" الغمر الثّقافي" (Immersive culture)[4]، وهي توجّه يدعو السّائح لاكتشاف ثقافات مُختلفة من داخل مُجتمعاتها. فيقوم خلالها الضّيف بمعايشة الحياة اليوميّة للمُضيّف، مع خلق تنمية مستدامة تحافظ على بقاء هذه المجتمعات. وتتمثّل بعض أسس التّنمية المستدامة بحسب منظّمة السّياحة العالميّة "UNWTO" في الحفاظ على البيئة ومواردها وعلى أنماط العيش للمجموعات وخلق موارد كفيلة بضمان عيش لائق.

تتميّز واحات البلاد التونسيّة بثراء تراثها بصعيديه الماديّ واللاّماديّ، وتتجسّد في منتوجاتها المتماهية مع طبيعتها وطبيعة أهلها، من تقاليد وصناعات وخصائص اجتماعيّة، يُمكن استثمارها لخلق تنمية مُستدامة، وتثمين هذه المنتجات في خدمة المجال السّياحيّ.[5]

يحمل المقال تصوّرا لمشروع ثقافي– سياحي انطلاقا من رؤية "Serge Gagnon " لمفهوم الجذب السياحي (Touristic attractiveness) والذي يؤكّد على قدرة الموروث الثّقافي

اللاّماديّ في بناء منظومة سياحيّة جالبة، والتي عبّر عنها بقوله " "تحديد ديناميكية الامتلاك التي تظفي" معنى "جيو–أنثروبولوجيّ على ظهور المناطق السّياحيّة."[6] [7]

ونسعى في هذه الورقات إلى التّعرّف في مرحلة أولى إلى تصنيفات السّياحة ودورها

في دفع التّنمية المستدامة، لننتقل في مرحلة ثانية إلى التّعريف بفرق موسيقى "البَنْڤا" بواحات البلاد التّونسيّة وبخصائصها، مركّزين على أحد أهمّ طقوسها المعروفة بالطواف "بالعَتْرُوسْ". أمّا في المرحلة الثّالثة فسنعمل على الرّبط بين مميّزات هذا الموروث اللاّمادي وسبل استثماره بجعله عنصر جلب سياحي يمكّن من توفير الثّروة.

وقد اعتمدنا في مقاربتنا على الدّراسات العلميّة المُهتمّة بالسّياسات الثّقافيّة والتّنمية السّياحيّة والمفاهيم الحديثة المرتبطة بـ"ثقافة الغمر"، مُعزّزين هذا التّمشّي بما حقّقناه من خلال عملنا الميداني حول موسيقى "البَنْڤا" بواحات توزر ونفطة الواقعة بجنوب–غرب البلاد التّونسيّة.

2–مظاهر التنوع السياحي في البلاد التونسية

يعرّف القطاع السّياحي في البلاد التّونسية تنوّعا كبيرا في الخدمات، ويستقطب ما يقارب عن 1.940.481 سائحا حسب إحصائيات الدّيوان الوطني التّونسي للسّياحة بالنسبة إلى سنة 2021. [8]

وقد قُدّرت المداخيل السّياحيّة من نفس السنة حسب المعهد الوطني للإحصاء "INES" بـ 2737 مليون دينار تونسي.[9]

وبالرّغم من هذه الأرقام المُحترمة فإنّ المواطن التّونسي البسيط لا ينتفع من هذه المداخيل أو يشارك في تنميتها، بل يَستنزف هذا المنوال السّياحي مقدّرات البلاد ويُزاحم المواطن التّونسي في مؤونته المُدعّمة.

ثمّ إنّ الخدمات المعروضة حاليا في السّوق التّونسيّة لم تعد تتماشى وطموحات السّائح لما يشهده هذا الميدان من تطوّر بالمقارنة مع ما هو متوفّر في هذه السّوق.

وتمتلك السّوق السّياحيّة التّونسيّة عديد الخدمات، وتتّخذ العديد من التّصنيفات بالعودة إلى مقاييس تهمّ المكوّنات الجغرافيّة والأنثروبولوجية لهذه الخدمات، وهو ما سنسعى لطرحه في العناوين التّالية.

2-1- السّياحة حسب الموقع والحدود

يمكن أن تصنف السّياحة في البلاد التّونسيّة حسب موقعها الجغرافي إلى صنفين أساسيّين وهما:

إمّا سياحة دوليّة أي بسفر الأفراد خارج حدود الوطن والولوج إلى حدود دول أخرى، ممّا يتطلّب عدّة إجراءات من تأشيرة دخول، وجواز سفر، وتحويل عملة، وغيرها.

وإمّا سياحة داخل حدود الوطن ويُعبّر عنها بالسّياحة الداخليّة، حيث يقوم فيها الأفراد بزيارة مواقع داخل حدود موطنهم والاستمتاع بالسّياحة داخل الحدود وهي لا تتطلّب كل الإجراءات السّابقة الذّكر.[10]

2-2- السّياحة حسب الهدف

يمكن أن تتّخذ السّياحة في البلاد التّونسيّة تصنيفات تتعلّق بالهدف من القيام بهذا النّشاط، وهي تنقسم إلى ثلاثة عناصر أساسيّة حسب "إدلهايم"[11]

- السّياحة الثّقافيّة: وتشمل هذه السّياحة زيارة الأماكن التّاريخيّة والمواقع الأثريّة والدّينيّة والمتاحف ويمكن اعتبارها سياحة دائمة إذا توفّرت فيها شروط النّجاح المرتبطة بالظّروف المناخيّة وسلاسة الحركة والتّنقل السّياحي.

- السّياحة الطّبيعيّة: لهذا النّوع من السّياحة عديد الأوجه والأغراض. وتتّخذ من المناخ والطّبيعة والنّبات أوجه الجلب السّياحي. وتهدف إلى التّرويج للأغراض العلميّة والطّبيعيّة ويُعدّ المناخ أهمّ عناصرها.

- السّياحة الاجتماعيّة: وهي سياحة مرتبطة بالمجتمع وتهدف إلى التّرويح عن

النّفس والتّرفيه، وتكون عناصر الجلب فيها زيارة المدن.

تصنيف ثانٍ ورد في مقال حول الخدمات السّياحيّة المُتوفّرة في الهند والّتي تَتّخذ من الهدف من زيارة مكان مّا عنصرا من عناصر التّصنيف[12]، فنجد:

- السّياحة التّرفيهية: وتهدف إلى تحقيق الراحة والاستجمام للعائلات والأزواج وكبار السنّ، وهي تهمّ بالأساس الأشخاص الراغبين في القيام بأنشطة ترفيهيّة لمدّة زمنيّة محدودة داخل الفضاءات مثل الحدائق الترفيهيّة، والحيوانيّة، والمائيّة وغيرها.
- السّياحة العلاجيّة: أو ما يُعرف بالسياحة الاستشفائيّة، وتهدف للسّفر خارج أرض الوطن من أجل العلاج في منتجعات صحيّة. وما يؤسّس لهذه الخدمة هي رغبة العميل في توفير مصاريف العلاج أو بحثا عن خدمات صحيّة أفضل.
- السّياحة الدّينية/الطّقوسيّة: وتهدف إلى زيارة الأماكن المقدّسة مثل الحجّ والعمرة، كما يمكن للسّائح أن يتوجّه إلى تجمّعات طقوسيّة يقدّم فيها قرابين الولاء والطّاعة.
- سياحة المؤتمرات والمهرجانات: الهدف منها المشاركة في المؤتمرات والمهرجانات الدّولية، ويمكن اعتبارها أحدث المنتجات السّياحية الّتي تعتمد على "الحدث" (event) للقيام برحلة استكشافيّة لبلد مّا والمشاركة في الفعاليات المُنظّمة.

سياحة التّسوّق: هي خدمة سياحيّة حديثة، وتهدف إلى زيارة المجمعات التّجارية لجودة منتوجاتها وتميّز أسعارها. لكن لا يقف الاهتمام بالتسوّق فحسب، بل يهتمّ السّائح في إطار هذا الهدف بزيارة المواقع الأثريّة ومعايشة ثقافة البلاد مع تخصيص أغلب فترة الرّحلة للتّسوّق.

السّياحة الرّياضيّة: يهدف هذا الصنف إلى جلب هواة الأنشطة الرّياضية لممارسة هواياتهم خارج أرض الوطن، في شكل تجمّعات رياضيّة مُنظّمة أو رحلات فرديّة ترفيهيّة.

2-3- السّياحة التّشاركيّة (Participative Tourism) توجّها تنمويّا حديثا

تهتمّ فئة من السّائحين بشراء التجربة عوضا عن شراء السّلع، إذ يرغبون في رحلة تجريبيّة تعايش مغامرة إنسانيّة تُخلّد لهم ذكريات. فينجرّ عنها لقاءات مع بلدان وسكّان

يختبرون من خلالها تجارب حياتيّة عبر معايشة الحياة اليوميّة لهذه الشّعوب. وهو أساس السّياحة التشاركيّة حيث لم يعد السُيّاح مجرّد مشاهدين سلبيين يُعجبون بالمناظر الطّبيعية ويراقبون السّكان الأصليين، بل يصبحون فاعلين في رحلتهم. وبذلك فإنّ السّياحة التّشاركيّة تدور حول عيش تجارب محليّة تُثري الحياة. فالمشاركة في الأعمال الفلاحيّة وطهي الأكلات المحليّة وتعلّم الصّناعات اليدويّة وغيرها تجعل السّائح يكتشف البلدان من الدّاخل ليَغمره الفضاء بثقافته ومعارفه المختلفة.[13]

3- فرق "البَنْڤا": تعريفها وخصائصها

"البنڤا" هي طريقة طقوسيّة عرفتها الطائفة التونسيّة السوداء منذ أزمنة قديمة وتعود بمرجعيّتها إلى الوليّ "سيدي مرزوڤ العجمي". وتتواجد مجموعات "البنڤا" بالجنوب الغربي للبلاد التّونسيّة وخاصّة بمنطقة توزر والحوض المنجمي. ولفرق "البنڤا" دور مهمّ في إحياء المراسم الطقوسيّة عند الزيارة أو عند المداواة من التملّك المعروف بالـ"بوري"[14]. كما تنشط هذه المجموعات في الاحتفالات الدنيويّة مثل الأعراس والمهرجانات والنُّزل، ولم تبق هذه الطريقة حكرا على الطّائفة السوداء، بل أصبحت تَنتمي إليها كلّ أطياف المجتمع المحلّي وتَتشارك طقوسها.

وتتكوّن هذه المجموعات الموسيقيّة من ثمانية عناصر على الأقلّ، ولها القدرة على التّعامل مع كافة الآلات الإيقاعيّة المستعملة في أسلوب "البنڤا"، وهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع: طبول و"تُنڤيرة" (من عائلة النقّارات) و"الشْقَاشِقْ" (آلات مُصوّتة بذاتها). وتتكوّن مجموعات "البنڤا" عموما من عازفي طبل على آلتي "البنڤا" الكبيرة و"البنڤا" الصغيرة، وعازف وحيد على آلة "التُنڤيرة"، وخمسة عازفين على آلة "الشْقَاشِقْ".

الشكل عدد 1: مجموعة "البنڤا"

المصدر: علي شمس الدين، الإيقاع في البلاد التونسيّة دراسة موسيقيّة فيزيائيّة وأنثروبولوجيّة، 2017، ص.132.

3-1- الآلات الموسيقيّة لفرق "البنڤا" وخصوصيّاتها

3-1-1- طبول "البنڤا"

أخذ الأسلوب "البنڤا" تسميته من الطبول التي يعتمدها، والتي تظهر على نوعين من الأحجام يُعرفان في المنطقة بـ "البنڤا" الصغيرة و"البنڤا" الكبيرة. ويُنقر على الوجوه المصوّتة للطّبول بعصيّ غليظة نسبيّا، ذات نهايات معقوفة وتسمّى " القُوسْ".

ويُستعمل هذا النوع من الطبول في وضعيّتي الوقوف إمّا للرقص في الحلقات الطقوسيّة وإمّا للسّير في الاحتفالات الاجتماعيّة والطرقيّة، كما يُمكن استعمال هذه الآلات في وضعيّة الجلوس.

الشكل عدد 2: طبول طريقة "البنڤا" الصغيرة والكبيرة

"البنڤا" الصغيرة "البنڤا" الكبيرة

المصدر: علي شمس الدين، الإيقاع في البلاد التونسيّة دراسة موسيقيّة فيزيائيّة وأنثروبولوجيّة، 2017، ص.159.

وتُصنع طبول "البنقا" من صفائح من الخشب الرُّقاقي (plywood) على شكل أسطوانة، ويُشدّ عليها إطاران من الخشب مُغلّفان بجلد الماعز يَجمعُ بينهما حبل. كما تُثبّتُ على الآلة حلقتان حديديّتان لربط الحزام الحامل للآلة.

الشكل عدد 3: مكوّنات طبول طريقة "البنقا" الصغيرة والكبيرة

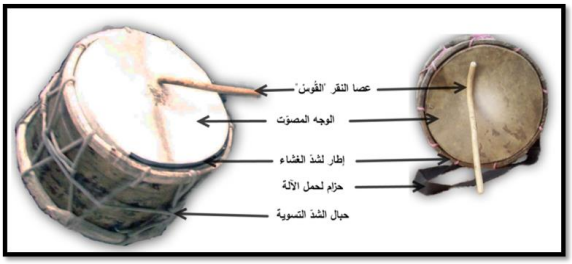

المصدر: علي شمس الدين، الإيقاع في البلاد التونسيّة دراسة موسيقيّة فيزيائيّة وأنثروبولوجيّة، 2017، ص.161.

3-1-2- آلة "الشْقَاشِقْ"

تتبع آلة "الشْقَاشِقْ" أو "الشْكَاشِكْ" أو "الكَرَاكِيبْ" منظومة الموسيقى الطّقوسيّة لأساليب "الصطُمْبَالِي" المعروفة في شمال البلاد التونسيّة وخاصّة في عاصمتها و"البنقا" المعروفة خاصّة في منطقة شطّ الجريد والحوض المنجمي.

وهي من الآلات الأكثر التصاقا بجسم العازف وتتوحّد مع حركته وتتزامن معه، ولها رمزيّة في المعتقدات الطّقوسيّة لأساليب "الصطُمْبَالِي" و"البنقا" إذ تحاكي إيقاعاتها خطوات الخيول

على أرض صلبة.

الشكل عدد 4: آلة "الشْقَاشِقْ" وطريقة مسكها

المصدر: علي شمس الدين، الإيقاع في البلاد التونسيّة دراسة موسيقيّة فيزيائيّة وأنثروبولوجيّة، 2017، ص.162.

وتُصنع آلة "الشْقَاشِقْ" من قطعتين من الصّفائح المعدنيّة تنتهيان بحدبتين مُفرغتين من الدّاخل (جزء من الشّكل الكرويّ)، لتتكامل مع الصّفيحة المقابلة لها.

وتُثبّت الصّفائح على اليد بخيوط أو من الجلد وتُطرق الواحدة فوق الأخرى لتُصدر صوتا معدنيّا حادًّا متقطّعا ومتواترا.

الشكل عدد 5: مكوّنات آلة "الشْقَاشِقْ"

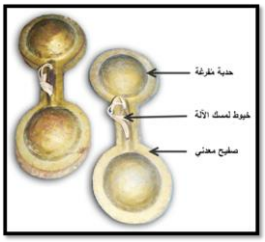

4- **المصدر:** علي شمس الدين، الإيقاع في البلاد التونسيّة دراسة موسيقيّة فيزيائيّة وأنثروبولوجيّة، 2017، ص.165.

4-1-1- آلة "التُنفيرة"

آلة "التُنفيرة" هي من الآلات الإيقاعيّة المتداولة في الأرصدة الطرقيّة وخاصّة في رصيد طرق "العلاويّة" (طريقة سيدي بوعلي السنّي) و"البنقا" بالجنوب الغربي للبلاد التونسيّة، ويَصْدُر صوتها عند النقر على غشائها بِعَصَوَين رَفِيعَين.

ولآلة "التُنقيرة" صوت حادّ، ويكمُن دورها في التقسيم الزّمني للدّورة الإيقاعيّة إلى مضاعفات الوحدة الإيقاعيّة. وقد جرت العادة بتواجد آلة "تُنقيرة" واحدة ضمن المجموعات الطرقيّة عموما.

ويُنقر على آلة "التُنقيرة" في وضعيّة الجلوس، ولكن يمكن حملها إذا تطلّب النّشاط ذلك، وخاصّة عند الخرجات التي تُنظّمها الطريقة.

الشكل عدد 6: آلة "التُنقيرة"

المصدر: علي شمس الدين، الإيقاع في البلاد التونسيّة دراسة موسيقيّة فيزيائيّة وأنثروبولوجيّة، 2017، ص.152.

وتتكوّن آلة "التُنقيرة" من جسم على شكل كأس من الفخّار مُغطّى بقطعة من جلد الماعز، الّتي يُلصق عليها الغشاء في المنطقة العلويّة، ويُشدُّ بخيوط تتواصل مع حزام رُبِطَ على مستوى نصف هيكل الآلة.

ولاستخراج الصّوت يُنقر على الآلة بعصوين رقيقين من مادّة الخشب يَتراوح طولهما بين 20 و30 صم.

ونجد أسفل هيكل الآلة ثقب أو ثقبان (قطر الثقب الواحد 1صم تقريبا) وذلك لخلق توازن بين الضّغط المُسلّط على الغشاء والهواء المحيط بالآلة. فيعمل الثّقب على إنقاص الضّغط المُنحصر داخل الصندوق المصوّت للآلة، وبهذه الطريقة يمكن حماية الغشاء من التّلف.

الشكل عدد 7: أجزاء آلة "التُنفيرة".

المصدر: علي شمس الدين، الإيقاع في البلاد التونسيّة دراسة موسيقيّة فيزيائيّة وأنثروبولوجيّة، 2017، ص.154.

5- الطقوس السنويّة لفرق "البَنْڤا" وأهدافها العقائديّة: طقوس الطواف "بالعَتْرُوسْ".

يُعتبر الطّواف من أهمّ الطقوس السّنويّة لمجموعات "البَنْڤا"، حيث يتمّ فيها الأعداد "لزردة سيدي مرزوڤ العجمي"، أي الوليمة التي تُنظّم سنويّا بعد مرور أربعين يوما لفصل الصّيف، أي عند توسّط شهر جويلية.

وتجمع "الزردة" كلّ منتسبي طريقة " سيدي مرزوڤ" حيث تُمارِس فيها الطّقوس وتَنشُط بها السّهرات على أصوات الطّبول و"الشّقاشق".

وتحمل مختلف فعاليات "الزّردة" منذ انطلاقها أبعادًا ثقافيّة تمسّ من المعارف الماديّة للمجتمع المحلّي من مأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ وغيرها، كما تُمارَس خلال هذا التجمّع معارف غير ماديّة مثل الموسيقى والرقص، وحتّى الروائح المختلفة التي تمتزج معًا لتخلق أجواء "التّخميرة".

استعدادًا "لزردة سيدي مرزوڤ العجمي" يشتري شيخ الطّريقة تيسًا أسودَ (عَتْرُوسْ) ويُنظِّم جولة داخل أحياء المدينة وبين مراقد أوليائها الصالحين (الزّوِي جمع زاوية) للتّبرّك

بهم ولجمع المؤونة من المتساكنين. وهو في مقام الإعلان عن موعد اللقاء السنوي المعروف "الزّردة".

الشكل عدد 8: "عتروس" في كامل زينته استعدادًا للطواف

المصدر: صفحة التواصل الاجتماعي "باجة زمان" بتاريخ 21 سبتمبر 2018[15]

يُنَظّم الطّواف "بالعَتْرُوسْ" قبل ثلاثة أسابيع من الموعد المرتقب، فتتجوّل مجموعات "البَنْڤا" في أنحاء المدينة في موكب بهيج بأغانيها وأهازيجها وإيقاعاتها المتنوّعة. ويَقود الموكب "المقَدَّمْ" أي المسؤول عن "زاوية سيدي مرزوڤ العجمي" ماسكا التيس المُخضّل بالزّينة، تليه الفرقة الموسيقيّة ثمّ كوكبةٌ من المريدين والفُضوليين. ويدوم الطّواف أسبوعا كاملا عدا يوم الجمعة الذي يُخصّص للتّفرّغ للصّلاة.

وتشترك فرق "البَنْڤا" في طقوس الطّواف بكل المناطق الواحيّة أينما وُجدت بالجنوب التّونسي. وتَمرُّ "الخرجة" عبر مسالك مُعيّنة تنطلق كلّها من "دار الديوان"، وهو المركز الاجتماعيّ للطّريقة، لتجول بأحياء المدينة وأوليائها. فيحدث التّواصل بين الأهالي والمريدين على مستويات عدّة منها الإنسانيّ ومنها العقائديّ ومنها الفنيّ، ليخلق فضاء غنيّا للتّبادل الثّقافيّ بالإمكان استغلاله في مجال التّنمية المستدامة وخلق موارد عبر تثمين هذا الموروث الثّقافي.

وتحمل عمليّة الطّواف زادًا كبيرًا من الموروث الثّقافيّ للمنطقة الّذي ينكشف في إطار هذا الحدث الطّقوسي ليُظهر مخزونا تراثيّا حقّقته عقود من الممارسة الاجتماعيّة الواعية. ويَستغلّ السّكّان المحليّون الطّواف للقيام بالطقوس العلاجيّة، وذلك بتقديم

الهدايا والهبات تبرّكا بالولي الصّالح أو طمعًا في الإنجاب أو شفاء أطفالهم وغيرها من الطّلبات. كما يعمد بعض المريدين إلى الدّخول في حالة من الوجد بهدف الشّفاء من الضّغوطات النّفسيّة والآلام الجسديّة الّتي يُعانون منها.

الشكل عدد 9: تفاعل الأهالي مع أجواء الطواف

المصدر: صفحة التواصل الاجتماعي "باجة زمان" بتاريخ 21 سبتمبر 2018[16]

وتهتمّ فئة أخرى من الأهالي بتحصين ممتلكاتهم وأطفالهم بتخطيهم التّيس المُزيّن بأبهى حلّة أو بتمرير حُليّهم وأموالهم تحت هذا الحيوان الأسود، ليباركها لهم الوليّ الصالح ويحميها من الضّياع.

أمّا الهدف الأساسيّ للطّواف "بالعَتْرُوسْ" فهو جمع الأموال والمؤونة للتّمكّن من حسن تنظيم تظاهرة الزّيارة وإعداد "التِكْرَهْ" (صحن من الأرز المزيّن بالزّبيب وقطع الحلوى) و" العصيدة بالملوخيّة " (العصيدة هي طحين مطبوخ مع الماء) يضاف إليها لحم الدّيك.[17]

6- طقوس فرق "البَنْڤا" في خدمة التّنمية السّياحيّة بالمناطق الواحيّة.

تحمل طقوس الطّواف لدى فرق "البَنْڤا" أبعادًا تنمويّةً مستدامة تُمكّنها من خلق ثروة وتركيز عناصر جلب سياحي، تشمل مُجملَ أبعادها الجغرافيّة والثّقافيّة والاقتصاديّة.

5-1- طقوس الطّواف والبعد السّياحي بحسب الموقع والحدود

من مميّزات هذا الحدث الطّقوسي قدرته على استقطاب السّياحة الدّاخليّة والخارجيّة، فالانتماء للطّريقة أو الاستكشاف عاملان داعمان لهذا الجلب السّياحي، وهو أيضا عنصر

فعّال في استقطاب السّياحة من خارج الحدود لما لهذا المشهد الطقوسي من أصالة وعمق ثقافيّ وتاريخيّ.

5-2- طقوس الطواف وعلاقتها بعناصر الجذب السّياحيّ

تُظهرُ طقوس الطواف قُدرات يُمكن تثمينها لما تتضمّنه من ارتباط وثيق بالأهداف الثّلاثة للسّياحة وتتمثّل في:

- طقوس الطّواف وارتباطها بالسياحة الثّقافيّة: يعتمد هذا الطّقس زيارة للمدينة وللأولياء الصّالحين وكلّ مرجعيّة تحمل طابعا عقائديّا، وهو التعريف الكامل بمفهوم السّياحة الثقافيّة. ويَتميّز هذا النّوع من السّياحة بديمومته في ظلّ توفر شروط نجاحه المرتبط بالظّروف المناخيّة وسلاسة الحركة والتنقل السياحيّ، وهي شروط يمكن توفّرها في المناطق الواحيّة بالبلاد التّونسيّة.

- طقوس الطّواف وارتباطها بالسّياحة الطبيعيّة: تتمّ طقوس الطّواف في مناطق العمران وداخل الفضاءات الواحيّة. ويمكن أن تتحوّل من هذا الفضاء الطبيعي، إذا توفّرت تشجيعات للاستثمار السياحيّ، إلى مواقع أنشطة سياحيّة بخصائص محليّة وخدمات تتماشى وأجواء المناخ والطبيعة والنّبات.

- طقوس الطّواف والسياحة الاجتماعيّة: إنّ الأجواء الفنيّة لطقوس فرق "البَنْڤا" عند الطواف "بالعَتْرُوسْ" تثير مشاعر المجتمع المحلّي حين يتفاعل مع موسيقى ذات أبعاد روحانيّة لتخلق علاقات مُنفتحة مع الزوّار، وهو ما سيؤدّي إلى تبادلات متنوّعة تخدم كلّ الأطراف المشاركة من سكّان محليين وسُيّاح.

5-2- ملامح طقوس الطّواف من خلال الهدف من السّياحة

تُظهر طقوس الطّواف لفرق "البَنْڤا" إمكانات واعدة يمكن استغلالها للاستجابة إلى متطلّبات الهدف من السّياحة وتظهر فيما يلي:

- طقوس الطواف في خدمة السّياحة الترفيهيّة: يَحمل الطّواف في أجوائه الحركيّة

الرّقص والإيقاعات النّشيطة التي تُمكّن طالب الخدمة من الحصول على مبتغاه من الترفيه والاستجمام والاسترخاء.

وهي ليست بالظاهرة الجديدة على مستوى الخدمات السياحيّة بالبلاد التّونسيّة، إذ نجد مثيلا لها في رحلات القراصنة بجزيرة جربة، بالرغم من أنّه لا وجود لعلاقة تربط الحدث الموسيقي المُنفّذ على هذه الرّحلات البحريّة بأجواء القراصنة وتاريخهم. فأسلوب "البَنْڤا" يُمارَس في بيئته وبين أحضان مُجتمعه بانسجام خلاف ما يُقدّم من موسيقى في رحلات القراصنة والذي يظهر مُسقطا ومُغتربًا.

- طقوس الطواف في خدمة السياحة العلاجيّة: يحرص عدد من المخبرين في لقاءاتهم على التّأكيد على أهميّة طقوس "البَنْڤا" في إحداث راحة نفسيّة لممارسيها، وذلك دون تقديم بيّنة علميّة تُؤكّد ذلك. ولكن ومن مقاربة أخرى يُمكن توفير خدمات في علاقة بالتّداوي بالأعشاب أو بالمياه الحارة. وهو منوال تنمويّ يُشجّع الأهالي على خلق أنشطة اقتصاديّة بالتّوازي مع مسار الطواف، واستغلال المنتجات الطبيّة المحليّة كعنصر جلب مع التّركيز على صناعة مواد التجميل المحليّة واستعمالها مثل الحنّاء و"الطّفلْ"(غسّولٌ طينيّ للشعر) وغيرها.

- طقوس الطّواف والسياحة الدينية/الطقوسيّة: لطريقة سيدي مرزوق مريدون داخل البلاد التونسيّة وخارجها، وهو ما يستقطب فئة من السيّاح ذوي المرجعيّة لهذه الطريقة، أو فئة من المغامرين الراغبين في استكشاف تجارب طقوسيّة جديدة.

وباعتبار طقوس الطواف منتوجا سياحيّا/طقوسيّا على مدار السّنة، ستُعزّزُ وكالات الأسفار أنشطة المنطقة الواحيّة على مدار السنة عوضًا عن الاقتصار على الزّيارة السّنويّة "للزّردة".

- طقوس الطّواف وسياحة التّسوّق: يمتلك الفضاء الواحيّ منتجات بيولوجيّة وتقليديّة عديدة ومتنوّعة، يمكن توفيرها خلال جولة الطّواف، ممّا يوفّر خدمات للسيّاح وموارد رزق للأهالي تعينهم على الاستقرار والمحافظة على أسلوب حياتهم. وهي فرصة للسّائح

ليُعايش من خلال جولته بعض الأعمال اليوميّة ويتعلّم أساليب صناعة الأدوات والفنون الواحيّة للمنطقة.

- طقوس الطواف والسياحة الرّياضيّة: تعتمد متابعة طقوس الطواف على المسير لمسافات طويلة عبر مسالك فلاحيّة، كما تُعتبر المشاركة في الأجواء الاحتفاليّة "للبَنْقا" إنعاشا كاملا للجسد. وهو ما يجعل من هذا الفعل الطّقوسي رياضة يمكن أن تستقطب المهتميّن بهذا الهدف السّياحي.

5-3- طقوس الطّواف في عمق مفاهيم السّياحة التّشاركيّة

بعد هذا الطّرح يظهر مدى قابليّة طقوس الطّواف للتأقلم مع رغبات السّيّاح الباحثين عن التّجربة، فيجدون في طقوس طريقة سيدي مرزوق مغامرة تُخلّد لهم ذكريات، فينتقل طالب الخدمة للعيش في أحضان الواحة، ويعايش أهلها ليختبر حياتهم ويمارس أعمالهم وطقوسهم، وهو أساس السّياحة التشاركيّة.

وبتحليل مراحل طقوس الطواف "بالعتروس" تظهر عدّة خدمات سياحيّة قادرة على المحافظة على المنوال الحياتي للسّكان الأصليين وعلى بيئتهم، مع خلق تنمية مستدامة تحمي مستقبل وجودهم إذا وجدت الإرادة لتحقيق ذلك. وإذ تحمل هذه الجولة الواحيّة أبعادا ثقافيّة واقتصاديّة وتربويّة فإنّها يمكن أن تتلخّص في توفير فضاءات لبيع المنتجات بأنواعها، حرفيّة كانت أوغذائيّة أوصحيّة. وبإنشاء هذه الفضاءات الاقتصاديّة سوف تتحوّل إلى مواقع لنشر الثّقافة والفنون يتعلّم فيها السيّاح الأشغال اليدويّة ويمارس بها مُختلف الحرف اليدويّة والفنيّة، وهو ما سيدعم المحافظة عليها ومواصلتها وتطويرها عوضا عن تركها وتغيير منوال الحياة لهذه المجموعات البشريّة المناضلة من أجل البقاء رغم تحدّيات العولمة والتغيّرات المناخيّة.

6- الخاتمة

في مقاربة لحدث ثقافيّ طقوسيّ مع تعاريف وتصنيفات السّياحة، نلاحظ توفّر إمكانات جادّة من خلال استغلال طقوس الطّواف "بالعتروس" لمجموعات "البَنْڤا"، ممّا يُمكّن من خلق تنمية سياحيّة مستدامة للمناطق الواحيّة الغربيّة للبلاد التّونسيّة والحوض المنجمي. حيث سيُأسّس هذا العنصر الثقافي والموسيقي لعدد من الاستراتيجيات السياحيّة الحديثة من "مفاهيم الثقافة الغامرة" والسياحة التشاركيّة بخلق عناصر جذب، والتي سيُحقّق من خلالها طالب الخدمة السياحيّة أهدافه من معايشة للحياة اليوميّة للسكان الأصليين والحصول على منتوجاتهم والمشاركة في إنتاجها وغيرها من الأنشطة. فبمجرّد جولة في أرجاء الواحة سيحصل الأهالي على مُبتغاهم بتوفير موارد مهمّة تُشجّعها على الاستقرار والمحافظة على نمط العيش. فإحياء التّقاليد والمعارف من شأنه إعادة الاعتبار لوظيفة هذا الموروث الثّقافي، وبذلك يمكن إعادته إلى الدّورة الاقتصاديّة.

حاولنا من خلال هذه الورقات التّعريف بأسلوب موسيقي عريق لم يُسجّل إلى يومنا الحاضر بالرّغم من ثرائه وإمكاناته في خلق استدامة عبر استغلاله في خدمة السّياحة، ونرجو أن تتوفّر الظّروف والإمكانيّات لمواصلة البحث لتوثيق هذا الموروث والمحافظة عليه للأجيال القادمة، وتحقيق تغيير يُمكّنُ السّكان المحليين من ظروف عيش أفضل.

قائمة الهوامش

[1]Stavroula-Villy, Fotopoulou, “Intangible cultural heritage, local knowledge and sustainable management of cultural assets and environmental resourses”, Crete, Technical University of Crete, 2017, p. 154.

[2] “The spirit of the ICH Convention demonstrates vividly UNESCO’s belief that culture should be considered a fundamental enabler of sustainability, a source of

meaning and energy, a spring of creativity and innovation, and a resource to address challenges and find appropriate solutions"

[3] **دبور، نبيل**، *مشاكل وآفاق التنمية السياحيّة المستدامة في البلدان الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي مع إشارة خاصّة بالسياحة البيئيّة*، مجلة التعاون الاقتصادي بين دول الإسلام، أنقرة، 2004 ، ص. 33.

[4] Couto, Gualter, et al,The Potential of Adventure Tourism in the Azores: Focusing on the Regional Strategic Planning, Singapore, Springer , 2021, p.25.

[5]منظمةالسياحةالعالميّة، "السياحة وأهداف التنمية المستدامة"، *www.e-unwto.org، 2022*، تاريخ الإطّلاع 27 فيفري 2023. https://www.e-unwto.org/doi/pdf/10.18111/9789284417889.

[6] Gagnon, Serge, *« L'attractivité touristique des territoires »*, Téoros, Montreal, 2007,p. 3.

[7] *« Déterminent une dynamique d'appropriation qui confère un « sens » géo anthropologique à l'émergence des territoires touristiques. »*

[8]وزارة السياحة التونسيّة. الإحصائيات السياحيّة. *الديوان الوطني التونسي للسياحة*. 2023، تاريخ الاطّلاع 27 فيفري, 2023. https://www.ontt.tn/ar/al-ihsaeyet-al-siyahia.

[9] المعهد الوطني للإحصاء، المؤشّرات السياحيّة الرئيسيّة،2022، تاريخ الاطّلاع 20 فيفري 2023 . http://www.ins.tn/ar/statistiques/129.

[10] Wachowiak, Helmut,"*Tourism and Borders: Contemporary Issues", Policies and International Research,* London, Routledge, 2006, p. 10.

[11] Johan R., Edelheim, Tourist Attractions: From Object to Narrative. Bristol, Channel View Publications, 2015. p. 288.

[12] SINGH , SUTINDER et JAIN, JAIN, *TOURISM IN INDIA AND ITS VARIOUS TYPES,* International Research Journal Commerce arts science, New Delhi,2017, p64.

[13] Garzón-Paredes, AR and Royo-Vela, M. , "*Experimenting Through Neuromarketing to Measure the Impact of Spanish Cultural Heritage",* Advances in Tourism, Technology and Systems: Selected Papers from ICOTTS20, Singapor,Springer, 2020. p. 413.

[14] *RAHAL, Ahmed, La communoté noire de tunis: Thèrapie initiatique et rite de possession, Paris, L'Harmatan, 1990, p.36.*

[15]

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=pfbid0Uhoqta9dRtQpRkdiZ1heRZAYWBAwMKeFCAbG412qfFggSLFSkMLSqdxXvp1pQBEQl&id=591843050996640

[16]

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=pfbid0Uhoqta9dRtQpRkdiZ1heRZAYWBAwMKeFCAbG412qfFggSLFSkMLSqdxXvp1pQBEQl&id=591843050996640

[17] KHIAT, Salim, « La confrérie noire de Baba Merzoug : la sainteté présumée et la fête de l'équilibre », *Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales : « Insanyat », Oran,* 2006, p. 125.